

روح المعاني

متوافقان فى العروض أحدهما بالكفر والآخر بالنقض وقيل : هو متعلق بلا يؤمنون والفاء رائدة وقيل : بما دل عليه ولا يخفى رد ذلك وكفرهم بآيات الله أى حجه الدالة على صدق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام والقرآن أو فى كتابهم لتحريفه وإنكاره وعدم العمل به وقتلهم الأنبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليه السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع غلاف بمعنى الطرف وأصله غلف بضمين فخفف أى أوعية للعلم فنحن مستغنون بما فيها عن غيره وقاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعطاء وقال الكلبي : يعنون إن قلوبنا بحيث لا يصل اليها شيء إلا وعته ولو كان فى حديثك شيء لوعته أيضا ويجوز أن يكون جمع أغلف أى هى مغشاة بأغشية خلقية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فيكون كقوله تعالى : وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه .

بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جاء به على وجه الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد أى ليس الأمر كما زعمتم من أنها أوعية العلم فانها مطبوع عليها محجوبة من العلم لم يصل اليها شيء منه كالبيت المقفل المختوم عليه والباء للسببية وجوز أن تكون للآلة ويجوز أن يكون المعنى ليس عدم وصول الحق إلى قلوبكم لكونها فى أكنة وحجب خلقية كما زعمتم بل لأن الله تعالى ختم عليها بسبب كفركم الكسبى وهذا الطبع بمعنى الخذلان والمنع من التوفيق للتدبير فى الآيات والتذكر بالمواعظ عند الكثير وطبع حقيقى عند البعض وأيد بما أخرجه البزار عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصى واجترأ على الله تعالى بعث الله تعالى الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا وأخرجه البيهقى أيضا فى الشعب إلا أنه ضعفه .

فلا يؤمنون إلا قليلا نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى إلا ايمانا قليلا فهو كالتصديق بنبوة موسى عليه السلام وهو غير مفيد لأن الكفر ببعض كفر بالكل كما مر أو صفة لزمان محذوف أى زمانا قليلا أو نصب على الاستثناء من ضمير لا يؤمنون أى إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وردده السمين بأن الضمير عائد على المطبوع على قلوبهم ومن طبع على قلبه بالكفر لا يقع منه إيمان وأجيب بأن المراد بما مر الاسناد إلى الكل ما هو للبعض باعتبار الأكثر . وقال عصام الملة : كما يجب استثناء القليل من عدم الايمان المتفرع على الطبع على قلوبهم يجب استثناء قليل من القلوب من قلوبهم فكأن المراد بل طبع الله تعالى على أكثرها فليفرهم وبكفرهم عطف على بكفرهم الذى قبله ولايتوهم أنه من عطف الشيء على نفسه ولا فائدة

فيه لأن المراد بالكفر المعطوف الكفر بعيسى عليه السلام والمراد بالكفر المعطوف عليه إما الكفر المطلق أو الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لاقتراحه بقوله تعالى : قلوبنا غلف وقد حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة في مواضع ففى العطف إيدان بصلاحيه كل من الكفرين للسببية .

وقد يعتبر فى جانب المعطوف المجموع ومغايرته للفرد المعطوف عليه ظاهرة أو عطف على فيما نقضهم ويجوز اعتبار عطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ولايتوهم المحذور وإن قلنا باتحاد الكفر أيضا لمغايرة المجموع للمجموع وإن لم يغير بعض أجزائه بعضا وقد يقال بمغايرة الكفر فى المواضع الثلاثة